مجلة الرائد

العدد : ٢٣١ الموافق في شعبان ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/١١ ميلادي

عنوان المقال : ماذا حدث بعد ٢٠٠١/٠٩/١١	الكاتب : عبد الله هارون

سوف أحدد في نقاط محطات هامة للوقوف عندها ، والقطار الذي يقف بنا عند هذه المحطات هو قطار وسائل الإعلام ، التي أصبحت أكبر وسيلة لصياغة الاتجاهات التي تمهد لاتخاذ القرارات السياسية والعسكرية وذلك بما يسمح به مقال محدود في هذه المجلة ، وهذه المحطات هي :

١- الضربة التي وقعت يوم ٢٠٠١/٩/١١م كانت فظيعة ، فقد أحدثت إجماعاً عالمياً على استنكارها وضرورة معرفة الجناة لمحاكمتهم ، وبالرغم من أن المنظمات الإسلامية في أوروبا وفي العالم الإسلامي استنكرت قتل الأبرياء وسارع العلماء والفقهاء إلى بيان موقف الإسلام الذي يرفض كل اعتداء على الأبرياء المسالمين ، إلا أن وسائل الإعلام الأمريكية ، وتابعتها وسائل الإعلام العالمية ، ركزت وبشكل قاطع على أن هذا العمل الإرهابي من تدبير المسلمين ، بل وبعض الوسائل ركزت على " الإرهاب الإسلامي " بأنه هو الذي وراء هذه الضربة !!.

٢- ثم كانت فترة بعد الحدث أتاحت الفرصة لأن يقول العقلاء رأيهم ، وعندما وجهت الاتهامات إلى جهة معينة ، طالب كثير بضرورة إظهار الأدلة وتقديم الجناة للمحاكمة ، بل وطالب البعض أن يكون هذا الأمر تحت إشراف الأمم المتحدة ، ولكن أمريكا رفضت كل ذلك وفرضت رأيها الذي أعلنته ، وهو أنها ستحارب الإرهاب ، ثم انضم إلى هذا القرار حلف الناتو - بعد أن قدمت أمريكا ما أسمته أدلة في جلسة مغلقة - ودقت طبول الحرب ، التي حذر كثير من أهل العلم والرأي والخبرة من نتائجها وفظائعها !!!

٣- أعلنت أمريكا أنها ستبدأ بالحرب على أفغانستان بدعوى أن نظام طالبان يُؤوي تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن ، واتخذت لذلك الأسباب التي حاولت إقناع المسلمين بها ، ومن ذلك :

① إن الحرب ستكون موجهة للإرهاب وليس إلى الإسلام والمسلمين .

② إن طالبان نظام فاسد سبب المآسي ، ويقوم بتصدير المخدرات إلى بلاد العالم ، وهذه الحرب هي التي ستخلص الشعب الأفغاني من مآسي طالبان .

③ قام الرئيس الأمريكي بزيارة مركز إسلامي في واشنطن ، وحاول كثير من المسؤولين زيارة مراكز إسلامية ، وصدرت التصريحات بأن الإسلام دين السلام !! .

④ بدأت أمريكا في إرسال القوات العسكرية للإحاطة بأفغانستان بل أقول بمساعدة عدد من الدول الإسلامية .

٤- في أثناء الإعداد للحرب وتكتيل الدول ، صَدَرَت بعض التصريحات التي لها دلالات قوية وتعبر عن أمور غير ظاهرة ، منها أن عملية محاربة الإرهاب ستتم تحت شعار " تحقيق العدل المطلق في الأرض " وتم التراجع عن هذا العنوان بعد ذلك لأن الذي يحقق العدل المطلق هو الخالق ﷻ، ثم قال الرئيس الأمريكي في إحدى كلماته عن الحرب المعلنة إنها " حرب صليبية " ثم تراجع عن هذا التعبير لما له في التاريخ عند المسلمين من آثار غير حميدة ، ثم قال رئيس الوزراء الإيطالي برلسكوني : « إن الحضارة الغربية متفوقة على الحضارة الإسلامية ، وعلى الغرب أن يسعى إلى تغريب الشرق وغزوه » ، وتعالت أصوات الاستنكار والمطالبة بالتراجع عن مثل هذا القول ، والحق أن برلسكوني لم يتراجع وإنما قال : « انتزعت العبارة من السياق وفُهمت خطأ !!! » . ولكن صحيفة ألمانية محترمة أفصحت يوم ٢٠٠١/٩/٢٢م عن أن كلاماً مشابهاً قيل في لقاء وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي ، ولم يعترض عليه أحد ، أو يستنكره .. !!.

٥- منذ ٢٠٠١/٩/١١م يعيش المسلمون في الغرب أوضاعاً صعبة ، وحدثت اعتداءات على أفراد ومؤسسات إسلامية ، وصدرت وستصدر تعديلات لقوانين الروابط الإسلامية في الغرب والتضييق على اللاجئين المسلمين ، وبدا ذلك واضحاً في التحليلات السياسية لبعض القادة وأصحاب الرأي ، وإن كان هناك من قبل المسؤولين استنكار لهذه الاعتداءات وتعاطف كبير من قبل قطاعات من الشعوب الأوروبية مع المسلمين في الغرب .

٦- في يوم ٢٠٠١/١٠/٧م بدأت أمريكا حربها على أفغانستان وبتأييد عالمي كبير ، بل وبدعم عدد من الدول الإسلامية ، والحقيقة أن هذه الحرب يتم فيها خداع العامة بأنها " حرب للإرهاب " فعادة الحرب أنها تكون بين طرفين ولكننا لا نعلم مشاركاً في هذه الحرب سوى الذين يقومون بإلقاء القنابل والمتفجرات والصواريخ إما من ارتفاع هائل أو مسافة بعيدة ؛ وكان التأكيد بأنها ستكون حرباً ذكية نظيفة ؛ لا تقتل المدنيين ولا تصيب منافع ومصالح الشعب بأذى ، ولقد تبين للعالم أن هذا كله مخالف للحقيقة !! ولا زالت صور حرب الخليج وما كتب عنها بعد انتهاء الحرب في أذهان الناس ، ووقع فعلاً

ما يتخوف منه العقلاء ، فقد قتل عدد كبير من المدنيين حتى كتابة هذا المقال ، واستغرب الناس كيف تقوم أمريكا ومن معها من الحلفاء بضرب أهداف في أفغانستان ؟! البلد المهدم من حروب استمرت أكثر من عقدين من الزمان ، ونُشِرَتْ صور - رغم شراء أمريكا للصور التي التقطها أحد الأقمار الصناعية بملايين الدولارات حتى لا تنشر كما أذيع ذلك في محطة (WDR2) راديو ألماني في نشرته الصباحية عند الساعة السابعة يوم ٢٠٠١/١٠/١٧م - نشرت صور احتراق مخازن للوقود ومخازن الطعام التابعة للصليب الأحمر .

٧- وصل إلى حدود أفغانستان سياسيون ومنظمات المساعدة الإنسانية وأجمع كل من رأى مأساة الشعب الأفغاني اعتباراً من يوم ٢٠٠١/١٠/١٤م بأن هناك مأساة إنسانية رهيبة في أفغانستان ، وفي ما يسمى " مخيمات اللاجئين " وطالبت مندوبة الأمم المتحدة للمساعدات الإنسانية بأن تتوقف أمريكا عن القصف لعدد من الأيام حتى يمكن إيصال هذه المساعدات الإنسانية للمحتاجين وخاصة قبل دخول فصل الشتاء ، لأن هؤلاء الناس وخاصة الضعفاء من النساء والأطفال إذا لم تصلهم المساعدات فإن النتيجة الحتمية هي الموت ، ولكن أمريكا رفضت بحجة أنها تقوم بإلقاء المساعدات الإنسانية من الجو أثناء عملية القصف الجوي !!

٨- والذي يَلْفِتُ النظر هو أن الذين يؤيدون أمريكا قدموا تأييداً بدون حدود ، أي أنه لا يعرف حتى الآن ما هي الأهداف ؟ وعلى أي أساس يتم التحرك ؟ وهل هناك فرصة للتحقيق ومعرفة الخطأ والصواب والحق والباطل أم لا ؟ وهذا موقف غير مقبول عقلاً ، وبالنسبة للمسلمين مرفوض شرعاً ، والله تعالى سائل كل من ساهم في هذه المأساة التي لا يعلم نتائجها إلا الله تعالى .

٩- السؤال الذي يطرح على أي مسلم يقول : نحتاج إلى التثبت والرجوع إلى القواعد المعروفة في العلاقات هو : هل تؤيد الإرهاب ؟! وجواب كل عاقل ، والمسلم بصفة خاصة : لا .. إنني لا أقبل الإرهاب فضلاً عن التأييد ، ولكنني أرفض كل صورة من صور الإرهاب : إرهاب الأفراد ، وإرهاب الجماعات ، وإرهاب الدول . بل إنني أتساءل أليس ما تقوم به القوات الأمريكية الآن نوعاً من الإرهاب ؟ إن الجواب على هذا السؤال عند كل عاقل لا بد أن يكون : نعم .. إنه إرهاب ، فلا يجوز أن يُنتقم لقتل أبرياء بقتل أبرياء ، والذي يحدث في أفغانستان سيكون ضحاياه ليس ستة آلاف بل مئات الآلاف إن لم يكن ملايين ، وهذا

فضلاً عن الآثار المدمرة للبيئة بسبب استعمال الذخائر المشعة كما وقع في حرب الخليج .

١٠- إذا كانت هناك أصوات قد ارتفعت عقب الاعتداء على واشنطن ونيويورك بأنها حرب على الحضارة والمدنية ، أليس الذي يقع الآن اعتداءً على المدنية ؟ وهل الانتقام نفسه حضاري ويصدر من متمدنين ؟!

إن العقل والمنطق وكل الشرائع الأرضية وشريعة الله تعالى تقول بأن القضاء على الإرهاب إنما يكون بإزالة أسبابه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فالإرهاب لا يظهر في مكان إلا وكان الظلم سبباً له ، بل إنني أعتقد أن هذه الهجمات لن تعالج الإرهاب وإنما ستزيد الإرهاب ، فهل من مستمع لصوت الحق قبل أن يستشري الفساد الذي سيقضي على الأخضر واليابس ؟!

وبعد ؛ فيمكن لمن وقف في هذه المحطات أن يقول :

❶ أليس من مصلحة البشرية ، بل ومن الخير لأمريكا ، أن لا يكون التأييد بهذه الصورة الجاهلية ؟ إن الموقف الذي اتخذته حكومات كثيرة ليس في صالح البشرية ، بل وليس في مصلحة أمريكا مستقبلاً ، ويمكن للجميع أن يراجع نفسه قبل أن تستفحل المصيبة .

❷ هل قامت الشعوب الإسلامية - بعد أن تبين أن الحرب ليست حرباً على الإرهاب كما قيل ، وإنما هي حرب يتعرض لنتائجها ملايين الأبرياء من المسلمين - بما ينبغي أن تقوم به لإنقاذ الشعب الأفغاني من الهلاك ، أم تنتظر الشعوب حتى يموت مليون طفل أفغاني كما مات مليون طفل من أطفال العراق ؟

❸ على المسلمين شعوباً وحكومات أن يتخذوا الأسباب للنهوض المستقبلي فالضعفاء يهانون ويضطهدون كما أرشد الله تعالى إلى ذلك في قصة فرعون مع قوم موسى عليه السلام في قول ﷻ : { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } [القصص : ٤] .

❹ وحتى لا يساء الفهم : فإن الأمر يحتاج إلى التأكيد بأنني أرفض جميع صور الإرهاب التي وقعت في الماضي القريب في بلاد البلقان وفلسطين وفي الشيشان وفي أمريكا وأفغانستان ، وأدعو إلى حل الأزمات بأسلوب حضاري يركز على معالجة الأسباب ولا يخدع الناس بالهجوم على النتائج.